الباب السابع
في بركته على أولاده وأصحابه وتلامذته وسلامة من التجأ إليه

أما أولاده فترك ~ تعالى ثلاثا وهم : سيدي محمد وهو الكبير ، وسيدي إبراهيم ، ورقية ، فأما رقية فتوفت بعده بقليل ، وأما الولدان فلم [٣٩/ ب] يزالا في خير معظمين ، وقيل للشيخ ~ تعالى عند موته على أولاده ومن هو الذي يتكلم لهم ، فقال : لهم الله تعالى .

ورأيت عليهما من البركة ما يعجز عن ذكره وربما كانا أحسن حالا من بعض أولاد الأمراء وهذه نسخة وصيته التي كتبت عنده :

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله نحمده ونشكره ونستغفره ونؤمن به ونتوكل عليه ونبرأ من الحول والقوة إليه أما بعد فأقول : وأنا العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن محمد المنوفي أني أشهد أن لا إله إلا الله تعالى وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وأوصي بما أوصى به [١] إبراهيم بنيه ويعقوب : ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢] ، وأوصي أن القمح الذي يخصني من القمح الذي عند أولاد أختي تجري الحال فيه على ما كان من إطعامه للفقراء وأولادي فيه كسائرهم وأن أتصدق بثلث ما أتركه وإن قل على الفقراء المستحقين للزكاة ، ويوقف الملخص على عمر الهسكوري ، ثم

(١) قوله أو صى به ساقطة من نسخة .

الفقراء المستحقين للزكاة ، ويوقف الملخص على عمر الهسكوري ، ثم هو وقف على من شاء الله بعده ويصلح ابن الحاجب ، ويوقف وكذلك التنقيح للقرافي على طلبة العلم ويحسب ذلك من الثلث ومن جملة ما يتصدق بثلثه النفيقة التي [٤٠/ أ] في طويقة البيت انتهى .

وأما أصحابه فحصل لكل منهم الخير إما بعلم وإما بدين وإما بالأمرين جميعا وكل من صاحبه أو رآه علم ذلك وهذا أمر مقطوع به عند أصحابه فمن ذلك ما حدثني به القاضي الأجل نجم الدين وهو من أكبر أصحاب سيدي الشيخ قال : مرضت مرضة عظيمة أشرفت فيها على الموت فزارني سيدي الشيخ قال : فوضع كفه في كفي وصار يمعك كفي بكفه فأجد لذلك برودة وأحس بانقضاء الوجع عني قليلا قليلا .

ومن ذلك ما حدثني به أيضا قال جاء مخدم صاحب الينبع إلى مصر ، ثم قصد السفر فقصدت السفر معه بأهلي إلى الحجاز الشريف فصار الأصحاب يقولون لي : هذا خطر لعدم الركب وكان بين مخدم وعرب بلى عداوة وذكر أنهم جالسون له ينتظرونه ليأخذوه ومن معه فذكر الأصحاب ذلك لسيدي الشيخ فقال : نجم الدين ما يفعل إلا لمصلحة .

فسافرت بأهلي وولدي وسافر معي أخي وسافر الشيخ العالم المحدث فخر الدين النويري [١] معنا وولده وكنا إذا نزلنا نضرب ثلاث خيم فقط فنزلنا أول

(١) عثمان بن يوسف بن أبى بكر النويرى المالكى الفقيه الصالح المحدث فخر الدين ولد سنة ٦٦٣ وصحب أباه القدوة علم الدين وتفقه به وبغيره ومهر وأفتى ودرس وأكثر الحج والمجاورة مع الدين المتين والورع والإخلاص بالغ الذهبى فى الثناء عليه قال شيخنا كان أحد العلماء الصالحين الزاهدين فى الدنيا ، والتاركين للمناصب ، يقول الحق ولو كان مرا وقال زين الدين بن رجب عنه : إنه قال : لم يكتب الملك على كذبا ولا كبيرة ومات فى أول سنة ٧٥٧ . انتهى من الدرر ج٣ ص٢٦٦ .

ليلة بالقرب من التربة التي بها سيدي الشيخ ~ تعالى فذهبت له وطلبت خاطره فقال [٤٠/ أ] لي : أرجو من الله تعالى أنه لا يصيبكم شيء .

فسافرنا ونحن طيبو القلب بقول الشيخ ، قال : فوصلنا إلى بلبيس فدخل أخي الحمام فوجد بها ابن يزيد العباسي فنهاه عن السفر ؛ وقال : إن سفركم خطر وأنا أعرف منكم بالعرب والحجاز ولا أقدر أسافر ، وأنتم رزق للعرب .

قال : فتركنا حديثه واعتمدنا على الله تعالى وحديث سيدي الشيخ ، ولم نزل طيبين إلى أن وصلنا إلى بلي فانفصل الحال بينه وبينهم على عدم مقاتلة ولم نزل في خير إلى الينبع[1] ، وفارقنا الينبع وأهله يخافون علينا قال : فنظرت ليلة خروجنا من الينبع سورا مضروبا علينا من هنا ومن هنا ونحن في الوسط ثم قرأت ونظرته ثانيا وأشك هل حصل لي مرة ثالثة أم لا ، فأخبرت الشيخ فخر الدين فقال : أنت ثقة وما يصيبنا شيء ؛ فكان كذلك ولم يذهب لنا شيء أصلا فعلمنا أن ذلك ببركة الشيخ .

ومن ذلك ما حدثني به أيضا قال : لم تكن زوجتي تخيط شيئا ولا تحسن شيئا من التفصيل ؛ فخيط الشيخ دلقا فيه طول فقلت : يا سيدي أعطني إياه نقصره ؛ فجئت به لها فخاطته ، ومن يومئذ صارت تخيط لنا ولغيرنا وتفصل لنا الثياب المرتفعة والصوف المربع وذلك ببركة سيدي الشيخ .

ومن ذلك ما حدثني به العدل المرتضى صدر الدين أخو نجم [٤١/ أ] الدين المذكور قال : دفع إلي الشيخ فضة لأشتري بها قمحا فدفعتها لبعض

(١) موضع بين مكة والمدينة .

الأصهار فشالها في صندوق وقفله ثم طلبتها فنقصت خمسة دراهم فقلت له على ذلك ففتشنا فإذا بعض أهل البيت له عادة بالأخذ مما في الصندوق ؛ وكان ظهور ذلك ببركة سيدي الشيخ .

وقد تقدم كثير من هذا المعنى كحكاية الذي ضاعت منه الفضة بالركن المخلق ، وحكاية السواسي ، وحكاية المركب لما أشرفت على الغرق فتتبع ذلك تجده .

ومن ذلك ما حدثني به الشيخ الصالح عبد الرحمن ابن أخت سيدي الشيخ وغيره أن مقطعي منوف قصدوا أن يجعلوا التجار وغيرهم ممن هو فيها فلاحين ويديروا القرعة عليهم فأخرجوا من بينهم مالا له بال ودفعوه لألماس الحاجب للسلطان لنهضته في مثل ذلك فأخذه منهم ورد غيرهم [1] بقضاء الشغل وأنه سيكلم السلطان في ذلك ويأخذ لهم مرسوما بذلك ، فبلغ ذلك أهل منوف ، فشق ذلك عليهم وجاؤوا لسيدي الشيخ ~ تعالى وتضرعوا له وذكروا له ذلك فسكت ثم جاؤوا له وكثر الجاؤون من البلد وشكايتهم وزاد تضرعهم إذا قيل لهم في هذا القرب يتنجز المرسوم ونحن وأولادنا نبقى كالعبيد ويحصل لنا الظلم الذي ما عليه [٤١/ ب] مزيد ، فسكت الشيخ ~ تعالى ؛ فقالوا : يا سيدي ذكر أنه غدا يتنجز المرسوم ثم قال لهم : روحوا ما عليكم ، وزاد بعضهم أنه قال : ما بقي إلا قليل .

وربما قال بعضهم : إن سيدي الشيخ الصالح إبراهيم ولد الشيخ الصالح العارف بالله تعالى كان حاضرا ، وقال : يا عبد الله إن كان في يدك شيء فأخرجه

(١) في نسخة ووعدهم .

فهذا وقته [١] .

ثم لما أصبحوا مسك ألماس ونزل مقيدا وذهب أقبح ذهاب وقيل في القلعة : يا أهل منوف لا يفلح من عارضكم [٢] .

ومن ذلك ما أخبرني به محمد المذكور ، قال : كنت صغيرا وقد أحمت والدتي الفرن بقصل الفول وناره شديدة ثم أخرجته على باب الفرن ودخلت لترص الخبز قال فوقعت بوجهي وعيني غلته وكان الشيخ جالسا بقابلتي فلم يقم ولم يتأثر بل قال : يا فاطمة ــ يعني أخته ــ اخرجي للصغير ؛ قال : فخرجت وقلبتني فلم تجد للنار مع قوتها أثر .

***

ومن ذلك ما رأيته أنا وغيري أن فقيرا قدم من برنشت بلدة من قرى مصر ومعه قليل قمح فمات بقنطرة السباع [٣] فأطلق من ديوان المواريث فأرسلوا كاشفا يكشف على موجوده ، فجاء للمدرسة لكونهم قالوا له : إن الشيخ هو الذي يتولى أمره ، فكلمه سيدي الشيخ الصالح محمد المكناسي ، وربما أوعده بمكروه إن لم يذهب ؛ فلم يتأثر لكلامه ، فكلم بعض أبناء الدنيا ممن له الكلمة وقالوا له على ذلك ، وقال له اذهب فلم يفعل ، وقال : أنا أذهب لبيوت الأمراء وغيرهم فلا يقدر أحد يمنعني لأني [٤٢/ أ] إنما أطلب حقا ، إن كان له شيء حمل إلى بيت المال ، فهو كذلك وإذا بسيدي الشيخ والناس تزدحم عليه وتقبل يده يمينا وشمالا فلما جاء جلس على حافة إيوان المدرسة ثم نظر للكاشف

(١) كذا في النسختين ولم أقف على ترجمة القائل .

(٢) في النسخة الأخرى : خارجكم .

(٣) قرب حي السيدة زينب .

نظرة فارتعد وذهب ولم يتكلم كلمة .

***

وكهذه الحكاية في طواعية الناس له ما حكاه بعض الأخيار ، فقال : لم أكن رأيت الشيخ وكنت أسمع به وأود الاجتماع به ، فمات سيدي الشيخ الصالح شمس الدين محمد بن السراج ، وقيل لي : إن الشيخ في جنازته ؛ فجئت للصلاة عليها فصلينا عليها في الجامع الأزهر أو قال : في الجامع المارداني ، وخرجنا وكانت جنازة كبيرة ، وخرج فيها قارئون ومكبرون ، قال : فالتفت رجل كان أمامي وقال لي : إن هذا الرجل كان صالحا ومن أهل القرآن ، وهذا بدعة وقل لهم يسكتون قال : فقلت له : لا يسمعون مني ؛ قال : فقل لهم عبد الله المنوفي يقول لكم اسكتوا .

قال : فعلمت أنه الشيخ ، وذهبت فبمجرد وصولي لآخرهم سكتوا وسكت من كان أمامهم ولم أكن أعلمت الأولين .

وكذلك ما حدثني به الشيخ الصالح محمد ولد أخته ؛ قال : دخل يوما الأمير منكلي بغا وتواطأ مع أصحابه أن يذكروا للشيخ أمرًا ويتعاضدون عليه فيه فدخلوا فلم يستجر أحد منهم أن يتكلم فلما خرجوا قال بعضهم : لم لا تكلمت ؛ فقال له ذلك لم لا تكلمت أنت وكذلك [٤٢/ ب] قالوا بأجمعهم ؛ فعلموا أنهم إنما كان سكوتهم لخاطر الشيخ ولم يقدروا أن يعاودوه .

ومن ذلك ما حدثني به الشيخ الصالح إسحاق قال : جاء أخي بمقاطع شرب مخبأة من المكس ثم اطلعوا على بعض ذلك وأخذوه فذهبنا وقلنا : نحن من طلبة سيدي الشيخ عبد الله المنوفي ؛ لأن هذا شديد إذا اطلعوا على هذا لا

يأمن الإنسان على نفسه وماله ؛ فقالوا لنا هاتوا رسالة الشيخ وخذوا متاعكم .

فذهبنا للشيخ وقلنا له على ذلك فقال : الله يبعدنا من هؤلاء ولا يجريني على ألسنتهم ولكن يلطف الله بكم .

ولم يرض أن يرسل إليهم فذهبنا لهم وقلنا لهم كلام الشيخ فقال : خذوا قماشكم فما لنا حاجة بالتكلم في هذا أو كما قال .

ومن ذلك ما أخبرني به الفقيه الصالح أبو موسى عيسى القسنطيني قال : حصل لبطني انطلاق شديد ووجع ، فدخل إنسان على الشيخ بقراقيش وذكر أنها من خبز الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ فأخذ الشيخ منها شيئًا وقال : لي كله فإن العافية تحصل لك فكان كذلك وانقطع ذلك عني به حين الأكل .

ومن ذلك ما أخبرني به غير واحد أنه كان بهم مرض فذكروا ذلك للشيخ فدعا لهم فحصلت لهم العافية .

وكذلك سأله جماعة أمورًا فدعا لهم فحصلت لهم العافية ، فمن ذلك ما أخبرني به من أثق به أن شخصًا من الشافعية جاء إلى سيدي الشيخ وقال : يا سيدي أشتهي أن أنقطع وأقرأ من الكتب [٤٣/ أ] الكتاب الفلاني والكتاب الفلاني ، وكان ذلك الرجل خيرا فدعا له الشيخ فحصل له ذلك .

ومن ذلك الحكايتان المتقدمتان أعني حكاية سيدنا العبد الفقير إلى الله تعالى محمد تاج الدين في أمر ولايته ، وحكاية القاضي الأجل الصالح حمزة نجم الدين في خطابة الخندق ، ومن ذلك ما أخبرني به الشيخ الصالح صالح الجزيري ، قال : لم أر الشيخ إلا مرة واحدة فرأيته وهو مع جنازة فصلى عليها ثم جئت إليه فقلت : يا سيدي أطلب منك أن تدعو لي بثلاث خدمة الفقراء ،

والكسرة الممدودة ، والإعانة على الطاعة ، قال : فسكت ؛ ثم قال للجماعة الذين حوله : لم يسألني أحد الطريق المكملة إلا هذا الشاب ؛ قال : فدعا لي ، ورأيت هذا الرجل وحصل له من بركته [١] ولعل الثلاثة حصلت له .

ومن ذلك ما بلغني أنه قال في غيبتي لما حصل فيَّ كلام : إني أرجو خليلا ولعل الطلبة تنتفع به ؛ فحصل لي بعد موته اشتهار ومعرفة بالفقه .

ومن بركته على أهله ما حدثني به غير واحد من أهل سيدي الشيخ قال كانت زوجة سيدي الشيخ أم أولاده وأخواتها لا يستطعن أن يأكلن لحم بقر أو غنم أو إبل ومتى أكلنه حصل لهن الضعف والأذى ، قال فلما دخلت زوجة الشيخ عليه وذكرت له حالها أمرها الشيخ بالأكل من اللحم ، وقال : ما عليكي ؛ ففعلت فلم يصبها شيء وبقيت [٤٣/ ب] تأكله ولا يصيبها شيء وبقيت أختها بعدها وبعده ـ وهي زوجة سيدي محمد ابن أخت سيدي الشيخ ~ تعالى لم تستطع الأكل وقالت : يا ليت سيدي الشيخ كان أمرني بالأكل .

ومن ذلك ما حدثني به غير واحد من أهله قال : زار الشيخ أخته بالتربة قبل أن ينتقل إليها فنزل أميرٌ تحت الطاق ، وكان محمد ولد الشيخ صغيرًا فبال عليه من الطاق ؛ فحصل له غيظ عظيم ، وقال : إن كان ذكرا خصيته ، وإن كان أنثى أحرقتها ـ أو كلاما هذا معناه ـ ورأى الناس والشيخ منه الجد فذكر له أنه صغير لا يعقل فلم يرتد وخشي عبد الرحمن على ولد الشيخ وبقيت زوجة الشيخ في ألم [٢] وقلق عظيم لأجل ولدها فدخل عبد الرحمن على سيدي الشيخ فذكر له ذلك ؛ فقال : ودوه له ، فقالوا : يا سيدي نودي [٣] غيره من

(١) في نسخة حصل لي منه بركة .

(٢) ساقطة من نسخة .

(٣) ساقطة من نسخة .

أولادنا فقال : لا فحملوه له فلما رآه ضحك وربما أعطاه شيئا .

ومن تأديبه لأهله ما حدثني به الفقيه الصالح أحمد ابن الشيخ الصالح عبد النور قال : زارت والدتي أختها فجاء لها سيدي الشيخ عبد الله فقال لها : امشي البيت ؛ فامتنعت ؛ فسألها ذلك فلم ترض ؛ فقال لها : ما تمشي طيبة ؛ ثم ذهب فأوجعتها عينها في الحال ؛ فقالت : هذا بسبب مقالة الشيخ ثم ذهبت إلى البيت فبرئت .

***

ومن ذلك ما حدثني به غير واحد عن رجل من أهل الخير ، قال : سافرنا من منوف في مركب إلى القاهرة [٤٤/ أ] وكان الشيخ فيها فوحلت المركب في رأس الليانة فنزل سيدي الشيخ ثم جلس على الشاطئ ونزل جميع من فيها من ركاب وملاحين ليعوموها فلم يطيقوا ؛ فقال بعض الجماعة : ما يعومها إلا هذا ، يعني سيدي الشيخ قال : فقام وأخذ بطرف الحبل فمن حين أمسكه جرت جريا قويا .

ومن ذلك ما حدثني به أيضا غير واحد عن الشيخ الصالح عبد الرحمن أن سيدي الشيخ سافر للحجاز الشريف في البحر فأشرفت المركب على الغرق فأمروا الركاب أن يرموا من حوائجهم ففعلوا وطلبوا أن لا يرمي سيدي الشيخ شيئا فقال بل أساوي الناس فرمى مثلهم ثم اشتد عليهم الأمر فقال سيدي عبد الرحمن فرأيته تغرغرت عيناه ورفع طرفه للسماء فاستكن الحال ووصلنا على أحسن حاله وذلك ببركته رضي الله عنه .

*****

فصل
وأما الخاتمة

ففيما أظهره الله له من الكرامة في موته وبعد موته :

فمن ذلك ما أخبرت به من جماعة أن من كان حاضرا حال موت الشيخ شم حال طلوع روحه رائحة طيبة كرائحة المسك بل أشد [١] .

ومن ذلك ما ذكره لي جماعة أنه لما احتضر سيدي الشيخ جعل بعض المغاربة يقول : يا سيدي اذكر الله تعالى وألح عليه فرفع الشيخ طرفه إليه كالمنكر وقال له : كيف أنسى من لا أعرف الخير إلا منه .أو كلاما هذا معناه .

ومن ذلك ما حدثني به الشيخ الصالح [٤٤/ ب] محمد ابن أخته وكنت حاضرا ولكن لا أتحقق الآن أني كنت حاضرا لجميع الحكاية أن سيدي الشيخ لما مات قصد جماعة أن يكفنوه من عندهم فقيل لهم : إن الشيخ عنده الكفن ، فقصد أن يكفن في خمسة أثواب أو سبعة ، فعاز قميص ؛ فقال محمد ولد أخته : إن عندي قميصا وهو في الأصل كان للشيخ لأن بعض الناس دفعه له وكان من الشرب فدفعه لزوجته لكونه لا يلبس ذلك ولكونه لا يلبس غالبا إلا غزل أخته قال : فلما سافرت الحجاز الشريف وجئت دفعته زوجة الشيخ لي قال : فدفعنا الكفن لسيدي أحمد الإبواني ليخيطه وعددناه عليه وفي ذلك ثوبان أحدهما من غزل أخته والآخر القميص الشرب فخيط الدروج وجمر الجميع ثم قصدنا أخذ الكفن فلم نجد القميص الشرب ففتش عليه الحاضرون فلم يجدوه فقال : محمد عندي خرقة من غزل والدتي يعني أخت الشيخ ففصلوه له فلما جاء بها وفصلته

---

(١) في نسخة : بتربة الشيخ .

وجد القميص في محله فعلم أن الشيخ كان قصده ألا يكفن به .

ومن ذلك اجتماع أهل القاهرة ومصر في جنازته ولعله لم ير مثل جنازته ولو مشي به كثيرا لحصل للناس الضرر العظيم أو لمات بعض الناس ولو شاهدت بعض الحكام أو من أكبرهم قد عصره الناس حتى جعل يستغيث [٤٥/ أ] لكن ببركة الشيخ لم يحصل لأحد ضرر وسبب هذه الكثرة كرامة لسيدي الشيخ أيضا .

وذلك أنه لما كثر الوباء بأرض مصر وقوي في رجب وشعبان ورمضان قصد ولاة الأمور أن يخرجوا إلى البرية ويطلبون من ربهم رفع ما نزل بهم ؛ فنادوا في الناس والجوامع والمحافل ، فخرج الجميع إلى قريب من تربة سيدي الشيخ مع عدم علمهم بموته فقيل لهم : مات الشيخ ؛ فتوجهوا له ولم يحصل لهم دعاء فعلم الناس أن تلك المناداة إنما كانت لأجل الشيخ .

وتوفي ~ تعالى سابع رمضان بعد العصر ودفن يوم الأحد باكر النهار ولم يحمل كالأموات بل كان مرتفعا لأن الناس كانوا يرفعون أذرعتهم ويرفعون سبابتهم وهو يحمل على السبابات وحكى القاضي الأجل علاء المحتسب بالقاهرة والقاضي بالعسكر ~ تعالى وغفر له أنه لقي سيدي الشيخ أو أرسل إليه وطلب منه أن يكون مع الناس في خروجهم اليوم الفلاني لرجاء إجابة دعائه قال لي : نعم أنا أكون هناك في هذا اليوم ولكن لا أظهر ؛ فأشار إلى خفائه بموته وكفنه .

ولقد رأيت لكثرة الناس من هو في منزلة نيابة السلطان يأمر بالعصا ويأمر مماليكه بذلك ليتمكن من دفن الشيخ .

ودفن ﷺ [٤٥/ ب] في موضع منفرد قريب من التربة التي كان نازلا بها وقال لي بعضهم أنه قيل له يا سيدي ما تندفن في القرافة لبركتها وكثرة الصالحين بها فقال : لا لئلا يتكلف الناس حمل جيفتي إلى هناك .

ومن ذلك بركته على أولاده وأصحابه وكل من انتسب إليه أو قرأ عليه حصل له الخير العظيم .

ومن ذلك أنه لما مات سيدي الشيخ تأسفت عليه غاية الأسف لكوني لم يحصل لي المقصود منه في الفقه وغيره فأنا كذلك إذ طلعت لي كبة تحت إبطي تاسع رمضان فأيست من الحياة فأصبحت صائما لغلبة الظن بالموت فلما كان العشاء جاءتني الوالدة بمعلقة وخبز مفتوت فلم أستطع حمل المعلقة ، فأنا كذلك إذ رأيت سيدي الشيخ ~ تعالى واقفا عند قبره فأذن لي في الاشتغال وأمرني به فوالله ما كنت كتبت رسالة ابن أبي زيد ولا أذكرها فكأنما نشطت من عقال ثم حصلت لي العافية وذهبت إلى المدرسة فقال لي الشيخ الصالح عباد المغربي رأيت سيدي الشيخ أجلسك على كرسي وجعلنا حولك وأنا أقصد أن أقرأ عليك وكان قبل الفناء بسنة أو سنة ونصف زرت بعض المشايخ الصلحاء فقال فقير : إنه إنما يشغل طلبة الشيخ إلا هذا الشاب يعني العبد وكنت لا أكذبه لعلمي بصدق حاله ولا أصدقه [٤٦/ أ] لكوني لا أرى نفسي أهلا لذلك ؛ فلما مات سيدي الشيخ ورأيت تلك الرؤيا وذكر لي الشيخ عباد ما رأى قويت نفسي فجلست ووالله لا أعرف الرسالة ففتح الله ببركته وهان علي الفقه وغيره ولم تتوقف عليَّ مسألة أصلا .

ومن ذلك ما حدثني به الفقيه الأجل الخير إبراهيم الدجوي النحوي قال : حصل لي مرض شديد وهو الأرواح ، وكنت أتألم منه إلى غاية ، فنمت ليلة وعندي من القلق شيء عظيم فرأيت سيدي الشيخ ~ تعالى فجئت له وقلت له : يا سيدي ادع لي أن يعافيني الله من هذا المرض فدعا لي في النوم ووضع يده على ذلك المحل فوالله من بعد ذلك لم يعد إلي الوجع .

وحدثني أيضا أنه قال : كنت ليلة نائما فرأيت سيدي الشيخ بعد موته في

حارتنا عند بيت الفقيه الصالح شمس الدين المنوفي والناس تقبل عليه فقلت له : يا سيدي مالك هنا ؟

فقال : نجهز هذا الرجل فأصبحت وجئت إلى ذلك الموضع ؛ فوجدته قد مات ولم يكن عندي علم بضعفه قبل ذلك ولا موته . أو كما قال .

ورأيت مرة كأن أشراط الساعة حصلت وخرج الدجال وتبعه ناس كثيرون فهربت أنا وجماعة منهم ثم وجدناه ومعه خلق كثيرة وهم في مكان منخفض من الأرض ولذلك المحل [٤٦/ ب] أبواب والناس ترد عليه من تلك الأبواب فلما قدمنا على باب خطا خطوة فإذا هو عندنا فتقدم سيدي محمد المكناسي له فاصفر وارتعد وقال ما لي عليكم سبيل وأظن أنه قال لأنهم من أصحاب سيدي الشيخ عبد الله المنوفي .

ومن ذلك أن بقرب قبر سيدي الشيخ حمزة فيها رمل طيب يأخذ الناس منه فخشي على القبور التي حوله وعلى قبره إذا اتسعت فذهب إلى بعض ولاة الأمر فجيء لها بمقيدين نحو من اثني عشر فبلغني أن الجميع خلصوا من القيد أو أكثرهم .

ورأيت ليلة كأن قائلا يقول لي : أتريد أن تنظر لأصحاب الشيخ ؟

قلت : نعم ، فخرج ناس كثيرون وخرجوا من باب البرقية وهو الباب الذي هو مدفون بقربه حتى سدوا البرية .

ومن ذلك ما أخبرني غير واحد عن نفسه من الثقات أنه إذا حصل له أمر ذهب إلى قبر الشيخ وتوسل به فيذهب غمه وتقضى حاجته .

ومن ذلك ما حدثني به القاضي الأجل المحترم الصالح حمزة نجم الدين قال : حصل لي بعد موت الشيخ ضيق فدعوت الله بدعاء مأثور في جلب

الرزق ؛ فرأيت الشيخ ~ تعالى تلك الليلة وهو جالس على هيئته ويقول : ما يستحي أحدكم أن يكلف جبريل عليه الصلاة والسلام [٤٧/ أ] الذي كان ينزل بالوحي على رسول الله ﷺ في شيء من أمر الرزق ؟!

ومن ذلك ما حدثني به بعض الطلبة الأخيار قال : وقع حديث في بعض الناس فرأيت الشيخ وهو يقول له : ما ينبغي التحدث في الناس أو ما طريقتي مثل هذا .

أو نحو ذلك .

ومن ذلك ما بلغني ممن أثق به أن بعض الطلبة لما رأى ولد الشيخ محمد ينظر يوم كسر البحر قال : لو كان الشيخ صالحا ما كان ولده هنا ؛ فلما قال ذلك جاء له جند وضربوه واستمروا على ضربه حتى ألهم أن ذلك إنما هو بسبب كلامه في الشيخ ~ تعالى فتاب فذهبوا عنه .

ومن ذلك أني لما قصدت جمع هذا الكتاب طلب جماعة من العبد أن يقرأ بجامع الأزهر ففي الليلة التي أردنا قراءته فيها رأى القاضي الأجل محمد شهاب الدين ابن الأعز ـ وفقه الله تعالى ـ سيدي الشيخ واقفا عند المكان الذي يقرأ فيه وهو قريب من صحن الجامع وقال : قصدي أن أملأ صحن الجامع بسطا .

قال : فقلت في نفسي وما يملأ هذا ؟ ثم قلت : بركة الشيخ تملأه .

ثم قيل لي : لم لا تملأ داخل الجامع ؟

قال : فأنا كذلك إذ رأيت بساطا قد فرش في صدر الجامع وعمّه وعدى المنبر ثم ذكر لي ذلك بعد [٤٧/ ب] يوم قراءته .

فقلت له : هل بلغك أنه قد قرئت بعض مناقبه هناك ؟

فقال لي : لا .

ولتعلموا وفقني الله تعالى وإياكم ومن توفيق الله تعالى ــ لا أخلاني وأخلاكم ـ أني تكلمت في هذا دون أصحاب سيدي الشيخ ليتأدب معه من لم يره لئلا يتكلم في حقه بما لا ينبغي ، والله أسأل أن يوفقنا للإقبال على امتثال مأموراته والإحجام عن ارتكاب محظوراته ، ويلهمنا ما يقرب من أجره وثوابه ، ويباعد من سخطه وعقابه ونعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ، ودعاء لا يسمع ، ونفس لا تشبع .

اللهم إليك انتهت الأماني يا صاحب العافية ، رب تقبل توبتي واغسل حوبتي ، اللهم وأسألك عيشة سوية وموتة تقية ، ومركبا غير مخز ولا فاضح ، اللهم اغفر لنا واسترنا ولا تفضحنا في الدنيا ولا في الآخرة وبرئنا وفرحنا وعلمنا وذكرنا وفهمنا وفرغنا من كل شيء إلا من ذكرك وطاعتك وطاعة رسولك ومحبتك ومحبة رسولك وكن بنا رؤوفا وعلينا عطوفا ، وخذ بأيدينا إليك أخذ الكرام عليك ، قوِّمنا إذا اعوججنا وأعنا إذا استقمنا ، وخذ بأيدينا إذا عثرنا ، وكن لنا حيث ما كنا ، اللهم واكفنا شر نفوسنا ، والطف بنا إذا حللنا في رموسنا [٤٨/ أ] يا رب العالمين .

اللهم إني أسألك خاتمة خير والدخول إلى الجنة والنظر إلى وجهك الكريم وهون علينا وارزقنا ، وبارك لنا فيها ، والطف بنا في قضائك وقدرك ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم واقض حوائجنا وحوائج السائلين وتب على العصاة والمذنبين وارحم موتى أمة محمد أجمعين واكتب السلامة على الحجاج والغزاة والمجاهدين في برك وبحرك يا رب العالمين وادفع عنا كيد الشيطان إنك على كل شيء قدير وعاملنا بما أنت أهله ولا تعاملنا بما نحن أهله يا رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين ، وعلى آله وصحبه وسلم ، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ، والحمد لله رب العالمين [١] .

*****

(١) بعدها في النسخة الأخرى الزيادة التالية ولا أحسبها إلا من ناسخها ، وحكي أن القاضي ناصر الدين ابن العديم العقيلي الحنفي عزل وكان قاضي القضاة بالديار المصرية برجل يسمى ابن الآدمي الحنفي الشامي فتوجه القاضي ناصر الدين ابن العديم إلى الحجاز الشريف واجتمع بالشيخ سعيد ببكة المشرفة فقال له الشيخ سعيد : إذا دخلت القاهرة فامض إلى قبر سيدي الشيخ عبد الله المنوفي واقرأ عند [٤٨/ ب] ضريحه شيئا من القرآن واطلب حاجتك منه فإنها تقضى فلما قدم القاضي ناصر الدين القاهرة نسي ذلك فبينما هو نائم إذ رأى في نومه والده وصحبته جماعة مشايخ وهم يقولون : يا قاضي ناصر الدين امض إلى ضريح الشيخ عبد الله المنوفي فلما استيقظ من منامه أصبح ركب وتوجه إلى ضريح الشيخ عبد الله المنوفي نفعنا الله ببركته في الدنيا والآخرة فجلس عند رأس الشيخ وقرأ شيئا من القرآن وتوسل بسيدي الشيخ في إعادة الوظيفة ثم مضى إلى بيته وكان قبل الظهر فنام فرأى سيدي الشيخ في نومه وهو يقول له قم قد أعدنا إليك منصبك فوالله ما استيقظ إلا ورسول الملك المؤيد يدعوه وإذا بابن الآدمي قد توفي فطلع القاضي ناصر الدين إلى السلطان ولبس قاضي القضاة بالديار المصرية في يومه والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين أحب دعائنا والحمد لله رب العالمين .